الإسراء والمعراج فرج بعد كرب

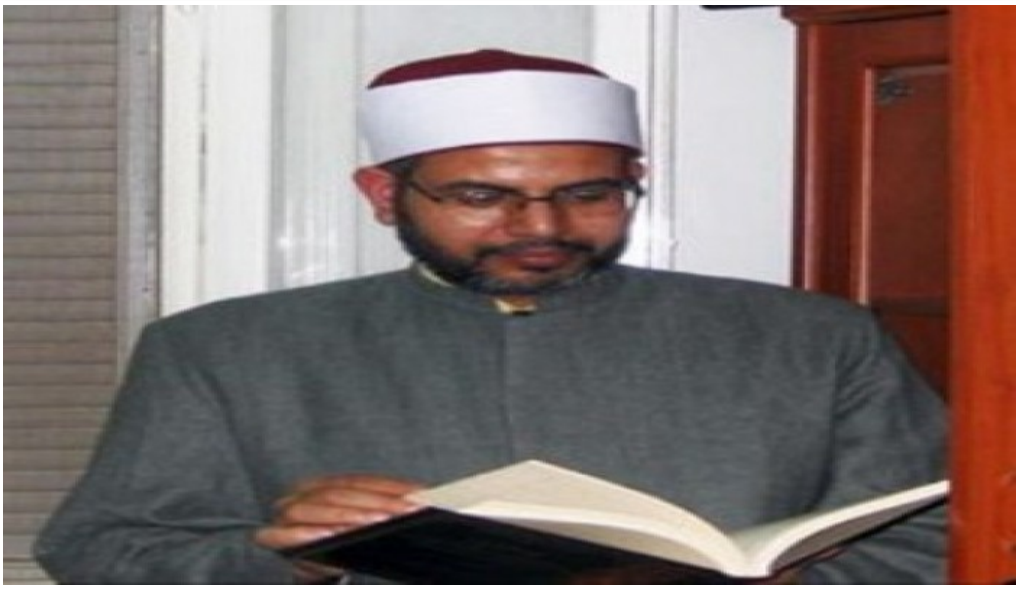

الأربعاء 29 مايو 2013 12:05 م

فرج أبو طير

بـدأ نزول الوحي على النـبي صلى الله عليه وسلم وعمره أربعون سـنة, وبـدأت الدعوة السـرية بمكة المكرمـة بشـكل سـري, وتتراوح مـدة هـذه المرحلة بين ثلاث وأربع سـنوات, ولما نزلت (**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**) بـدأت الـدعوة العلنيـة بإنذار عشـيرته الأقربين, وكانت القضـية المحورية الـتي ركز عليهـا النبي صلى الله عليه وسلم في دعـوته – هي التوحيـد المطلق والخـالص لله سـبحانه وتعالى، وإفراده بالعبادة والحاكمية, فالإسـلام منهج حياة, ولابد من تحكيم القرآن والسـنة في كل شأن من شـئون الحياة, فانزعج المشـركون (**وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا**) (القصص: 57) (**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ**) (فصلت:5) وزعمـوا أن دعـوة الإسـلام ستسـلب ملكهـم, وتقضـي على زعـامتهم, وكيف تنزل الرسالـة على هـذا اليتيم الفقير, ولا تنزل على عظيم من الكبار والزعماء, فدارت معركة الصد عن سبيل الله بكل الصور

- لجأت قريش إلى ترويـج الاتهامات الباطلة لصد الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم: (**وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا**) (الفرقان: 8).

- وبدأت حملة من السخرية والاستهزاء والضحك والغمز واللمز والتعالي – عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين – وما أشـبه الليلـة بالبارحة – (**وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ**) (الأنعام: 53)، ثم لجأ المشركون إلى المطالبة بالمعجزات (**وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا**) (الإسراء 90 – 93).

- وحاولت قريش من خلال أسلوب المساومات أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق حـتى يترك النبي صلى الله عليه وسـلم بعض مـا هو عليه, قـال تعالى (**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**) (القلم: 9)

- وتحـالف المشـركون مع اليهود ليطرحوا على الرسول صلى الله عليه وسـلم أسئلة تعجيزية, فقالوا لهم سلوه عن أهل الكهف, وعن ذي القرنين, وعن الروح.

- ولما لم تجدي هذه الوسائل بدأوا في أسـلوب الترغيب, وعرضوا عليه السيادة، وعندما لـم تثمر كـل الأسـاليب السابقـة لجـأت قريش إلى أسـلوب الاعتـداء والتصـفية الجسديـة, وبدأت حملات التعذيب للصـحابة رضي الله عنهم ونالت عمليـة التعذيب النساء، ولجأت قريش إلى المقاطعـة للمسـلمين وسـجنهم في شـعب أبي طـالب, واسـتمرت المقاطعـة ثلاـث

سنوات, واشتد عليهم البلاء والجهد والجوع, ولكن المسلمين صمدوا وثبتوا وصبروا, حتى سخر الله تعالى رجالاً من قريش لنقض هذه الصحيفة الظالمة, وجاء الفرج من الله تعالى بعد هذه الشدة والمعاناة

- وقبل الهجرة بثلاث سنوات توفي عمه أبو طالب, وكان أبو طالب يحوط النبي صلى الله عليه وسلم ويغضب له - وفي نفس العام توفيت السيدة خديجة رضي الله عنها التي كان يسكن إليها الرسول صلى الله عليه وسلم عند الشدائد.

- ولما اشتدت مقاومة قريش للدعوة, وبلغ الأذى مداه,. خرج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يتلمس أرضًا خصبة تقبل دعوة الإسلام – ويلتمس النصرة والمنعة من ثقيف – لكنه لم يجد إلا الإيذاء والسخرية والاستهزاء.

- وفي ظل هذه الأزمات يعلمنا الرسول صلى الله عليه وسلم سلاح الدعاء والاستعانة والاستغاثة بالله تعالى, والأمل والثقة في الله, فنراه صلى الله عليه وسلم يتوجه لربه بالدعاء (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي, وقلة حيلتي وهواني على الناس, يا أرحم الراحمين, أنت رب المستضعفين, وأنت ربي, إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي, ولكن عافيتك هي أوسع لي, أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات, وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك, أو يحل علي سخطك, لك العتبى حتى ترضى, ولا حول ولا قوة إلا بك) ابن هشام – السيرة وإسناده حسن مرسل, ورواه ابن سعد في الطبقات مختصرا, والبيهقي في الدلائل, وأحمد في المسند, والسيوطي في الجامع الصغير, وعزاه للطبراني وحسنه0

وجاء الفرج من الله تعالى بعد كل هذه الشدائد:

1- في طريق عودته من الطائف, وعند حائط ابني ربيعة, التقى بعداس النصراني فأسلم.

2- وفي طريق عودته من الطائف, أقام الرسول صلى الله عليه وسلم أيامًا في وادي نخلة القريب من مكة – وخلال فترة إقامته هذه بعث الله إليه نفرًا من الجن استمعوا إلى القرآن الكريم, وأسلموا وعادوا إلى قومهم منذرين ومبشرين, كما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز: (**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ**) (الأحقاف: 29).

3- الإسراء والمعراج وقعت حادثة الإسراء والمعراج بعد هذه الغمرة من المآسي والأحزان والشدائد المتلاحقة, فكان ذلك تسرية عن نفس النبي صلى الله عليه وسلم ومواساة له وتكريمًا وتثبيتًا

وقد وقع ذلك في السنة العاشرة من المبعث, بعد وفاة أبي طالب, وقبل هجرته إلى المدينة بأكثر قليلاً من السنة

وفي هذه المعجزة الإلهية, كانت هذه البركات لهذه الأمة:

- إمامة الرسول صلى الله عليه وسلم للأنبياء في المسجد الأقصى, وانتقال الريادة لفلسطين والمسجد الأقصى, بل وقيادة البشرية كلها من بعده لأمته.

- وفي المعراج فرض الله تعالى الصلاة خمسين صلاة في اليوم والليلة – فلما سأله الرسول صلى الله عليه وسلم (التخفيف) فجعلها الله تعالى أرحم الراحمين خمس صلوات، فهي في العدد خمس صلوات وفي الأجر خمسين صلاة

- و رأى الرسول صلى الله عليه وسلم من آياته ربه الكبرى, لينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين, ورأى بعضًا من مشاهد نعيم أهل الجنة, وعذاب أهل النار, كما جاء ذلك في أكثر من رواية, حتى نجتهد جميعا فنعمل من الآن بعمل أهل الجنة, وننتهي عن عمل أهل النار.

من هنا تظهر لنا هذه الحقيقة حتى نكون على يقين بها:

أن النصر مع الصبر, وأن الفرج مع الكرب (**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**) (الشرح 5, 6).

ولقد ربى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على هذه المشاعر الثلاثة:

الإيمان بعظمة الرسالة, والاعتزاز باعتناقها, والأمل في تأييد الله لها.

ويقول علماء الاجتماع: إن حقائق اليوم هي أحلام الأمس, وأحلام اليوم حقائق الغد.
إن نهضـات الأـمم جميعها إنما بـدأت على حال من الضـعف, ومع الصبر والثبات والعمل الـدائب بإخلاص لله تعالى واحتساب, نهضت هـذه الأمم وقويت وعلا سـلطانها, واسـتبحر عمرانها، لكن علينا واجبات عمليـة لهذه النهضة, ومنها العمل على زيادة الإنتاج, وترشـيد الاسـتهلاك, وتقوية روابط التعاون بيننا, وتقديم المصلحة العامة على المصالح الشخصية
إن من أعظم الدروس في الإسراء والمعراج, قوة اليقين في الله القوي القادر: